السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط

الاحتلال الروسي لسوريا _ 2011-2020م

الباحث محمد احمد خليل

المركز السوري سيرز 11.02.2022

المقدمة:

بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي، والتغيرات التي طرأت على شكل النظام الدولي، وتحوله إلى نظام أحادي القطبية مع صعود الولايات المتحدة الأمريكية، تقلص دور روسيا على المستوى الدولي، وكانت تعاني من الانحلال وضعف قواها خلال تسعينيات القرن الماضي، لكنها بدأت تستعيد أنفاسها وتجمع قواها، وكان بداية عودتها على الساحة الدولية عام 2008م إثر تدخلها العسكري في جورجيا، وقد كان لروسيا مصالح قومية عليا لا يمكن التساهل بها أو تجاهلها.

أيضاً تمتلك نزعة إمبراطورية فلا تستطيع أن تبقى داخل حدودها بدون مدى حيوي لها وامتدادات خارجية، فإن روسيا تاريخياً تعتقد أن جهود بلد واحد لا تكفي لتحقيق القوة والنفوذ لها خصوصاً إذا كان بلداً فلاحياً مثل روسيا مما يقضي بمد نفوذها إلى دول أخرى، وباتت ترى أن الشرق الأوسط يمثل إحدى أولويات سياستها الخارجية وتسعى من خلالها لإعادة مجدها ونفوذها السابق كقوة عظمى حيث أصبحت منطقة الشرق الأوسط أرض اختيار رئيسية لمحاولات روسيا للعودة إلى الساحة العالمية وإثبات وجودها، فإن تدخلها في منطقة الشرق الأوسط يساعدها على:

1- الوصول إلى المياه الدافئة من خلال مد نفوذها إلى بعض الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط.
2- أيضاً تواجدها في دول المطلة على المتوسط يساعدها على إقامة خط دفاع لها لكي يمنع توسع الناتو والولايات المتحدة الأمريكية اتجاه منطقة الشرق الأوسط.
3- سعي روسيا لتأمين مصالحها الاقتصادية والتجارية ولتوسيع أسواق صادرات روسيا من السلاح والقمح، وتسعى أيضاً لجعل المنطقة أكثر هدوء واستقرار لتنعم شعوبها ودولها بثمار التعاون والاستقرار

وقد عملت روسيا على بناء علاقات مع بعض دول الشرق الأوسط حيث كانت ترى أن العلاقات مع دول الشرق الأوسط تجنبها العزلة الدولية، أيضاً قامت روسيا بالتدخل بالأزمات التي تحصل في المنطقة، لإبراز مكانتها على المستوى الدولي وتوطيد نفوذها في المنطقة، وإحدى أشكال هذا التدخل؛ تدخلها في سوريا الذي تحول تدريجياً إلى احتلال.

يتناول هذا البحث في المبحث الأول الحديث عن مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط لروسيا، وأبرز اهداف روسيا اتجاه منطقة الشرق الأوسط.

أما المبحث الثاني فهو يسلط الضوء على القضية السورية التي هي محور هذا البحث، وعن طبيعة التدخل السياسي الروسي في سوريا منذ اندلاع الثورة عام 2011م، وتحوله إلى احتلال عسكري عام 2015م، ودخول القوات العسكرية الروسية إلى سوريا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال معرفة مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا في إعادة بناء قوتها وتوسيع نفوذها، وأبرز أهداف وتوجهات روسيا اتجاه منطقة الشرق الوسط، أيضاً فهم وتفسير الاحتلال الروسي لسوريا ومدى أهمية موقع سوريا بالنسبة لروسيا.

إشكالية البحث:

ما مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط لروسيا في إعادة بناء قوتها ومد نفوذها، وما هي دوافع الاحتلال الروسي لسوريا.

يتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات:

1- ما مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط لروسيا؟
2- ماهي اهداف وتوجهات السياسة الخارجية الروسية؟
3- ما مدى أهمية سوريا بالنسبة لروسيا؟
4- ماهي الدوافع التي أدت إلى الاحتلال الروسي على سوريا؟

فرضية البحث:

تشكل منطقة الشرق الأوسط بشكل عام وسوريا بشكل خاص أهمية كبيرة بالنسبة لروسيا لمد نفوذها وزيادة وسيطرتها في المنطقة.

مناهج البحث:

المنهج التاريخي: استخدم الباحث المنهج التاريخي لسرد الأحداث التاريخية في الحقبة المعتمدة في البحث بين عامي 2011-2020م.

المنهج الوصفي: اعتمد البحث في هذا المنهج على وصف السياسة الروسية اتجاه منطقة الشرق الأوسط وسوريا، والإجراءات السياسية الروسية لاحتلال سوريا.

المفاتيح الأساسية في البحث:

السياسة الخارجية: هي برنامج العمل العلني الذي يختاره الممثلون الرسميون للوحدة الدولية من بين مجموعة البدائل البرنامجية المتاحة من أجل تحقيق أهداف محددة في المحيط الخارجي.[1]

[1] محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998، ص 12.

توجهات السياسة الخارجية: يقصد به الطابع العام والخصائص الأساسية لسياسة الوحدة الولية عبر فترة زمنية طويلة نسبياً، مثل: الانعزالية، التدخلية، عدم الانحياز.[2]

دراسات سابقة:

2- دراسة بعنوان (السياسة الخارجية الروسية والتحولات السياسية في المنطقة العربية) للباحث:

ملوكي سفيان، ركز الباحث أنه من أسباب التدخل العسكري الروسي في سوريا هو تعيين تنظيم داعش "أبا محمد القدوري" والياً على القوقاز، ولم يتحدث عن خوف روسيا من عودة مقاتلي القوقاز الموجودين في سوريا إلى بلادهم، وإثارة المشاكل فيها وعن خوفهم من وصول الإسلاميين في سوريا إلى الحكم وربما يؤدي ذلك إلى وصول الإسلاميين أيضاً في القوقاز إلى الحكم، وقد توصل الباحث في خاتمة بحثه إلى أن التدخل الروسي في سوريا ليبيا هدفها إعادة إحياء أمجادها ومد نفوذها، وفي بحثي وجدت إضافة على ذلك أن روسيا تهدف بهذا التدخل تشكيل خط دفاع أو حاجز يمنع امتداد الدول الغربية إلى الشرق الأوسط.

1- دراسة بعنوان: (روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات) للباحث:

كاظم هاشم نعمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2016: يتحدث الباحث في هذه الدراسة عن السياسة الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، والتحديات التي تواجهها روسيا في منطقة الشرق الأوسط، وتدخلها في المنطقة خصوصاً بعد اندلاع ثورات الربيع العربي.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: شكل وطبيعة السياسة الخارجية الروسية اتجاه الشرق الأوسط.

- المطلب الأول: أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا.
- المطلب الثاني: أهداف وتوجهات السياسة الخارجية الروسية اتجاه الشرق الأوسط.

المبحث الثاني: السياسة الخارجية الروسية اتجاه سوريا.

- المطلب الأول: أهمية سوريا بالنسبة لروسيا.
- المطلب الثاني: التدخل الروسي في سوريا 2011-2020م.

المبحث الأول: شكل وطبيعة السياسة الخارجية الروسية اتجاه الشرق الأوسط.

يسلط هذا المبحث الضوء على الأهمية التي تتمتع بها منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للسياسة الروسية، منها الأهمية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، وأهم أهداف وتوجهات السياسة الخارجية الروسية اتجاه المنطقة بشكل مفصل.

المطلب الأول: أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا.

[2] محمد السيد سليم، المرجع السابق.

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من المناطق ذات الحساسية الشديدة للمتغيرات الهامة في العالم، سواء كانت هذه المتغيرات متعلقة بصعود وهبوط قوى عظمى في العالم، أو متغيرات مرتبطة بالاقتصاد أو التكنولوجيا، فقد اكتسبت المنطقة أهمية كبرى من منظور المصالح للدول العظمى، لامتلاكها العديد من الموارد الاقتصادية الطبيعية خصوصاً النفط والأيدي العاملة، والطاقة الشمسية والغاز، إلى جانب معادن عديدة مهمة في بناء الصناعات الحيوية، التي ترتكز على قاعدة واسعة من التقدم العلمي والتكنولوجي، وبذلك تحول الشرق الأوسط إلى مسرح استراتيجي هام للقوى الصناعية الكبرى، لأنه يؤمن تدفق النفط والغاز والمواد الأولية لدول العالم.

وقد فرضت الجغرافيا على روسيا تاريخياً الاهتمام بالشرق الأوسط، بحكم أنها تشغل الحيز الأكبر من الكتلة الأور آسيوية الملاصقة للشرق الأوسط، ومن الملاحظ أن المصالح الروسية قد ازدادت بشكل كبير في السنوات الأخيرة، لاسيما بعد بثورات الربيع العربي، باعتبار الأهمية الاستراتيجية للمنطقة والاضطرابات المتزايدة التي تشهدها تؤثر بشكل مباشر على روسيا بسبب التقارب الجغرافي، في المقابل زادت روسيا أنشطتها في منطقة الشرق الأوسط بشكل ملحوظ.[3]

الفرع الأول: الأهمية السياسية

من أهم المصالح الروسية في الشرق الأوسط، فمن أهم أهداف روسيا، استنزاف القدرات الاستراتيجية للولايات المتحدة عن طريق مزاحمتها في المنطقة، ويتم ذلك من خلال: استدراج واشنطن في مشاغبات على أكثر من ساحة –الشرق الأوسط أحدها بطبيعة الحال- وهذا نابع من إدراك القيادة الروسية أنه حينما يأتي الوقت لإعادة حساب موازين القوى العالمية –على الرغم من معرفة موسكو التامة بأنها لا تستطيع معادلة القوة الاقتصادية أو العسكرية الأمريكية في أي وقت قريب- فإنه يمكنها حينئذ رفض بقائها كقوة عالمية من الفئة الثانية، والإصرار على ضرورة إعادة تشكيل ميزان القوة العالمي.[4]

الفرع الثاني: الأهمية الاقتصادية

من مصلحة روسيا المحافظة على تعظيم العائد من تصدير ثرواتها ومنتجاتها من النفط والغاز والسلاح والقمح، وذلك عن طريق التنسيق مع دول الشرق الأوسط المصدرة للنفط والغاز، وتوسيع أسواق السلاح الروسية في هذه المنطقة، التي تمثل أهم أسواق السلاح في العالم، هذا التنسيق الذي كان قد بدأ مبكراً من خلال قنوات مختلفة دبلوماسية وتجارية، في أعقاب غزو العراق للكويت، وحاجة الدول الخليجية إلى مساندة كل من روسيا والصين في مجلس الأمن الدولي، لإصدار قرارات ملزمة ضد النظام الحاكم في العراق في ذلك الوقت بقيادة صدام حسين.

وعلى الصعيد النفطي، فإن روسيا أدركت منذ انهيار أسعار النفط في منتصف عام 2014، أنها يمكن أن تتعرض لأضرار شديدة، في حال الاستمرار في اضطراب سوق النفط، وفي إطار السعي لتحقيق استقرار

[3] أماني عبدالكريم علي سليمان، أثر التدخل الروسي في الشرق الأوسط على هيكل النظام الدولي "2011 – 2016 ، المركز الديمقراطي العربي"، 2016على الرابط التالي:https://democraticac.de/?p=34573 آخر تحديث: 4\2\2022.

[4] أماني عبد الكريم علي سليمان، المرجع السابق.

إيراداتها من تصدير النفط، فقد وجدت طريقا للتنسيق مع المملكة العربية السعودية والدول الأعضاء في أوبك، ويعتبر الاتفاق بين دول أوبك وروسيا على التنسيق المشترك، وتحديد كميات الإمدادات إلى الأسواق العالمية، حجر الزاوية في الاستقرار النسبي للأسعار في تلك الفترة.[5]

أيضاً منع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي في اتصال أوروبا بأنابيب النفط في الشرق الأوسط، لأن حصول ذلك سيخلق نوع من المنافسة في سوق الطاقة الأوروبية، وسيقلل من أسعار وإيرادات النفط والغاز الروسيين.

الفرع الثالث: الأهمية الاستراتيجية

من الجانب الاستراتيجي العسكري، فإن روسيا تحتاج إلى التقليل من حجم التهديدات المحتملة من منطقة الشرق الأوسط القريبة من حدودها الجنوبية، وهو ما يدفعها إلى إقامة علاقات استراتيجية مع دول المنطقة العالمين العربية والإسلامية، حيث تسمح لها القيام بدور أكبر على الساحة الدولية، كما أن العمل على بناء علاقات جيدة مع العالم العربي-الإسلامي، سوف يساعدها على حل المشكلة الشيشانية، مما يزيد من الاستقرار الداخلي في روسيا ، كما تخشى روسيا من اندلاع صراعات إقليمية، تنعكس على نطاق واسع وتمس مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية، ويبقى الوصول إلى المياه الدافئة هدفاً استراتيجياً روسياً على مدى القرون وأكثر ما يشغل روسيا في سوريا حتى الآن، هو ضمان حصتها في أي خريطة جديدة لسوريا، والمحافظة على وجودها في المياه الدافئة، عبر تدعيم حضورها في الشريط الساحلي الذي تتطلع للسيطرة عليه.[6]

يمكن القول أن منطقة الشرق الأوسط تشكل أهمية كبيرة سياسية واقتصادية واستراتيجية بالنسبة لروسيا، سيتم الحديث في المبحث الثاني عن التوجهات السياسية الروسية اتجاه منطقة الشرق الوسط.

المطلب الثاني: أهداف وتوجهات السياسة الخارجية الروسية اتجاه الشرق الأوسط.

تسعى روسيا إلى تعزيز تواجدها في البحر الأسود والبحر المتوسط بعد ضم شبه جزيرة القرم لروسيا عام 2014م، وهو ما تضمنته العقيدة العسكرية البحرية الجديدة التي صادق عليها الرئيس بوتين في 2015م ، حيث نصت الوثيقة على ضمان وجود عسكري بحري "دائم" لروسيا في البحر المتوسط، وتعزيز المواقع الاستراتيجية لروسيا في البحر الأسود، ردا على تحركات الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في البحر الأسود على خلفية الأزمة الأوكرانية، وقد عظم هذا من أهمية المنطقة بصفة عامة خاصة في الأولويات الروسية

حالة التغير في ميزان القوى الدولي مع تصاعد القدرات الروسية والتراجع النسبي في القدرات الأمريكية، فالنظام الدولي قد تغير لفعل تجاه التعددية، وعودة روسيا كقوة فاعلة أصبح واقعا نتيجة النمو المضطرد في قدراتها الشاملة على مدى الأعوام الماضية، وقد كشفت الأزمة الأوكرانية التي بدأت في نوفمبر من العام 2013م عن عمق التناقض في المصالح بين موسكو، القوة العائدة، التي تعمل جاهدة على استعادة نفوذها وتأثيرها الدولي والإقليمي، وترفض أن تكون مجرد ظل أو تابع للولايات المتحدة، ولم تعد تقبل النظام الأحادي

[5] إبراهيم نوار، مصالح المن القومي لروسيا في الشرق الأوسط، القدس العربي، 2020، على الرابط التالي: https://u.pw/LvHWH2 ، آخر تحديث: 5\2\2022.

[6] أماني عبد الكريم علي سليمان، مرجع سابق.

القطبية التي تنفرد واشنطن دارة قضاياه على الصعيدين الدولي والإقليمي وتسعى مع قوى دولية وإقليمية أخرى لتغييره، والولايات المتحدة التي لا تتصور تراجعها عن استراتيجيتها العالمية، ومكانة القائد في النظام الدولي، وترفض أن تشاركها أي قوة أخرى مواطن القوة والتأثير به، وفي الوقت الذي تسعى فيه روسيا إلى إدارة جماعية للشأن الدولي والإقليمي، ولا تقبل الولايات المتحدة إلا بانفرادها كقطب أوحد.[7]

يرتبط الأمن القومي الروسي بأبعاده الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً بالمنطقة نظراً لحيوية دور دول المنطقة، خاصة المملكة العربية السعودية، في إطار منظمة أوبك في تحديد أسعار النفط، ومن المعروف أن أكثر من 55 %من إيرادات الموازنة الروسية تأتي من عوائد صادرات النفط والغاز، وتأثر الاقتصاد الروسي كثيراً بالانخفاض الحاد في أسعار النفط بعد رفض أوبك خفض حجم الإنتاج لتحسين الأسعار، وقد أشار الرئيس بوتين في خطابه السنوي أمام البرلمان الروسي بمجلسيه يوم 3 ديسمبر 2015م ،إلى أن "تراجع أسعار النفط أدى إلى مصاعب اقتصادية انعكست على حياة المواطن العادي". وقد ضاعف هذا من أهمية المنطقة لدى موسكو انطلاقاً من ضرورة التنسيق فيما يتعلق سعار النفط، نظراً لدور قطاع الطاقة في تعزيز قدراتها المتنامية وضمان استقرارها الاقتصادي ومن ثم السياسي، وتوفير الموارد اللازمة لدور فاعل دولياً وإقليمياً.[8]

وعلى الصعيد الاقتصادي، تمثل المنطقة العربية سوقا مهمة ذات قوة استيعابية كبيرة للصادرات الروسية من السلع الاستراتيجية والمعمرة، مثل الآلات والمعدات والأجهزة والشاحنات والحبوب. وبحسب الإحصائيات الرسمية المنشورة على موقع"Russian-Trade" فقد بلغ حجم التبادل التجاري خلال سنة 2016 بين روسيا والدول العربية 14.48 مليار دولار، وتأتي مصر والجزائر والمغرب في مقدمة الشركاء التجاريين لروسيا في المنطقة، حيث وصل مبلغ التبادل بين مصر وروسيا إلى 4.15 مليار دولار، وبين الجزائر و روسيا 3.79 مليار دولار.[9]

روسيا تعمل جاهدة لتحقيق أهدافها في منطقة الشرق الأوسط، من هذه الأهداف ما هو اقتصادي وتجاري ومنها ما هو سياسي ومرتبط بأمنها القومي.

المبحث الثاني: السياسة الخارجية الروسية اتجاه سوريا.

المطلب الأول: أهمية سوريا بالنسبة لروسيا.

كان الاتحاد السوفييتي السابق أول الدول التي اعترفت باستقلال سوريا وأقامت معها علاقات دبلوماسية، وتعززت العلاقات السورية الروسية بشكل كبير إلى مستوى التحالف الاستراتيجي، وكان ذلك مع وصول حافظ الأسد إلى الحكم، وبعد خروج السوفييت من مصر أضطر الكرملين للبحث عن بدائل أخرى في الشرق الأوسط ليبني معها تحالفات جديدة يقوي بها نفوذه في المنطقة وقد كان كل من سوريا والعراق من أفضل البدائل، وكانت تقدم القيادة السوفيتية الدعم الكبير لسوريا في المحافل الدولية، وبقيت العلاقات الروسية السورية

[7] فراس محمد أحمد الجحيشي، التوازنات الاستراتيجية في ضوء بيئة أمنية متغيرة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص 7.
[8] حسيبة مخبي، توجهات الاستراتيجية الروسية نحو منطقة الرط الأوسط، جامعة الجزائر، 2017، ص 162.
[9] حسيبة مخبي، المرجع السابق، ص 164.

مستمرة، وقد أظهرت روسيا أهمية كبيرة تجاه الثورة السورية منذ اندلاعها عام ٢٠١١، حيث أن سوريا لها أهمية كبيرة لروسيا فهي تعتبرها بمثابة حجر الزاوية في أمن منطقة الشرق الأوسط وأن عدم الاستقرار فيها سيؤدي حتماً إلى زعزعة الاستقرار في البلدان المجاورة لها، حيث قامت منذ بداية الثورة في سوريا على دعم وتأييد النظام السوري مما مهد لاحتلال سوريا من قبل الروس.

أولاً: الأهمية الجيوستراتيجية:

إن أهمية موقع سوريا الاستراتيجي يمكن تحديده من خلال النظريات الجيبولتيكية المعتمدة في الدراسات السياسية والجغرافية السياسية الخاصة بأهمية مواقع الكيانات السياسية حيث تقع سوريا في منطقة الهلال الداخلي في نظرية "قلب الأرض" لماكيندر الذي عد العالم القديم (آسيا وأوروبا وأفريقيا) قارة واحدة ذات ثلاثة أقسام متلاصقة أطلق عليها الجزيرة "العالمية" يتوسطها البحر المتوسط مما أدى إلى عدها جزءاً من الجسر الذي يربط بين "القلب الشمالي "المنطقة الممتدة بين الفولغا وشرق سيبيريا والقلب الجنوبي" والقلب الجنوبي "جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية" وعد موقعها ذا أهمية استراتيجية كبيرة بسبب تحكمها بالطرق التي تربط بين القارات.[10]

وحسب نظرية الارتطام لنيقولاس سبيكمان فإن سوريا تقع أيضاً ضمن الإطار القاري ذو الأهمية الاستراتيجية والمحيط بالقلب الروسي، وفي نظرية القوة الجوية مفتاح البقاء" لسفرسكي"، فإن سوريا تقع ضمن منطقة المصير وهي أهم المناطق من الناحية الاستراتيجية التي تعني السيطرة عليها السيطرة على الأجزاء الأخرى من العالم، وأن موقع سوريا الجيواقتصادي شكل أهمية أكبر بالنسبة لروسيا كونه يمثل عقدة مرور لأنابيب الطاقة المتجهة إلى الأسواق في أوروبا، بالتالي تعد عاملاً منافساً للغاز الروسي الذي تعتمد عليه أوروبا كما يؤثر على اقتصادها، وكي لا تبقى تحت رحمة روسيا لذا تسعى أوروبا للقضاء على هيمنة روسيا في سوق الغاز العالمية مدعومة بالولايات المتحدة الأمريكية عن طريق التخطيط لمشروع مد خط أنابيب الغاز نابكو وأدركت روسيا أن ما يوقف هذا المشروع باستباق تنفيذ مشاريع أنابيب نقل الغاز من وسط آسيا إلى أوروبا وقطع الطريق على أي نفوذ فردت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها بخطة مضادة تعتمد على خطوات بديلة وهي الاستعاضة عن مصادر غاز وسط آسيا بمصدر آخر من قطر وهنا تأتي أهمية سوريا الجيوستراتيجية حيث أن خط الغاز من قطر إلى أوروبا يمر من سوريا وطالما أن النظام السوري حليف روسيا معارض على إنشاء الخط القطري لا يمكن أن يدور أي حديث حول مد هذا الخط.[11]

وهكذا فإن تدخل روسيا في سوريا يكون كورقة ضغط على الدول الأوروبية وتبقى هذه الدول تحت رحمة الغاز والنفط الروسيين.

ثانياً: أهمية قاعدة طرطوس:

[10] ظاهر عبد الزهرة الربيعي، م. م ثناء إبراهيم فاضل، الموقع الجيواقتصادي لسوريا وأثره على سياسة روسيا الاتحادية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العدد6، 2017، على الرابط التالي: n2m3,m3n، آخر تحديث:2022/2/6.

[11]. ظاهر عبد الزهرة الربيعي، م. م ثناء إبراهيم فاضل، مرجع سابق.

تلعب القاعدة البحرية الروسية في سوريا دوراً حاسماً في استراتيجية روسيا البحرية وقد اعترف قادة البحرية الروسية بأهمية طرطوس بالنسبة للبحرية الروسية، حيث أنها تعد ذات مركز ثقل للوجود الروسي في منطقة الشرق الأوسط، انطلاقاً من مصالحها الجيوستراتيجية وتنظر روسيا إلى ميناء طرطوس على أنه بوابتها إلى المنطقة وهو الوسيلة لاستعادة مجدها في تلك المنطقة لذلك فهي لن تستغني عنه.[12]

وتعد هذه القاعدة من أحد أسباب دعم روسيا للنظام السوري وسبب في احتلالها العسكري على سوريا.

ثالثاً: الأهمية التجارية والاقتصادية:

حيث أن الجانب الاقتصادي كان له نصيب في العلاقات السوفيتية السورية فقد نفذ الاتحاد السوفيتي ما يزيد عن ٦٠ مشروعاً ما بين الستينيات وبداية التسعينات في القرن الماضي في سوريا ومن أهم المشاريع سد الفرات الذي أقامته سوريا بموجب قرض من الاتحاد السوفييتي، كما أقيم مجموعة من المصانع المختلفة لإنتاج مختلف انواع المنتجات، ووقع اتفاقية تعاون اقتصادي بين البلدين في عام ١٩٧٣م، وقدمت موسكو الملايين لتمويل مشاريع النفط، حيث تشكل التجارة الروسية السورية نسبة ٢٠٪ من إجمالي التجارة الروسية العربية، وقد ارتفع حجم المبادلات بين عامي 1989-1990م إلى نسبة ٤٠٠ مليون جنيه أسترليني، وارتفعت صادرات روسيا إلى سوريا إلى ١٣٨ مليون دولار في عام ٢٠٠٢م بعد أن كانت لا تتجاوز ٩٥ مليون دولار في عام ٢٠٠٠م.[13]

وهكذا فإن روسيا تعتبر سوريا سوقاً لتصدير منتجاتها إليها أو تمريرها عن طريق سوريا إلى البحر المتوسط.

أيضا تمتلك روسيا مصالح اقتصادية واستراتيجية واضحة في سوريا تعود عليها بمنافع كبيرة كعائدات مبيعات السلاح حيث لدى روسيا مصالح اقتصادية كبيرة في تجارة الأسلحة مع النظام السوري ووفقاً لمركز مستقل لتحليل تجارة الأسلحة العالمي في موسكو تشكل الأسلحة الروسية لسوريا على مدى العقد الماضي ١٠٪من صادرات الأسلحة الروسية، وتعتبر سوريا في الوضع الراهن "الزبون الأكبر" لروسيا في منطقة الشرق الأوسط.[14]

رابعاً: التعاون العسكري بين البلدين:

مجال التعاون العسكري الروسي قضية محورية في علاقة البلدين فقد قدم الاتحاد السوفييتي السابق شتى أنواع الأسلحة لسوريا في مواجهتها لإسرائيل، وحولت سوريا كافة ترسانتها العسكرية بالاعتماد على الأسلحة السوفياتية الصنع، بل امتد الأمر إلى استضافة سوريا ما يصل إلى ٦٠٠٠ من المستشارين والفنيين العسكريين السوفييت، أيضاً إن عشرات الآلاف من الطلاب السوريين قد تخرجوا من الجامعات والكليات والمعاهد العسكرية السوفياتية، لكن بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي أديا إلى حدوث تحول استراتيجي

[12] بن ورخو زهية، العلاقات العسكرية الروسية الإيرانية في ظل الأزمة السورية خلال الفترة 2011–2017، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة زين عاشور، 2017، ص 57.

[13] ملوكي سفيان، السياسة الخارجية الروسية والتحولات السياسية في المنطقة العربية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر،2018، ص160.

[14] بن ورخو زهية، المرجع السابق، ص56.

كامل في العلاقات بين سوريا وروسيا (وريثة الاتحاد السوفيتي) حيث بدأت روسيا بالتعامل مع سوريا وفق قواعد جديدة في مجال مشتريات السلاح تقوم على الدفع النقدي بالإضافة إلى ضرورة الانتظام في سداد الديون القديمة، وفي عام ١٩٩٩ وقعت روسيا وسوريا على اتفاقية "التعاون السلمي في مجالات الطاقة النووية".[15]

أن روسيا كان لها دور كبير في تقوية ودعمه بالسلاح النظام السوري وأجهزته حتى ما قبل تدخلها العسكري المباشر في سوريا.

وتولي روسيا اهتماماً كبيراً بالطرق الدولية الممتدة على الأراضي السورية من شمالها حتى جنوبها ومن شرقها إلى غربها وأهم هذه الطرق هو M5 الذي يوصل جنوب سوريا بشمالها وأيضاً طريق M4 الذي يوصل شرق سوريا بغربها وأهم أسباب اهتمام روسيا في هذه الطرق هو في حال تمكنت من السيطرة والإشراف على الطرق الدولية المتواجدة في سوريا ستتمكن من إنعاش تجارتها الدولية وتصدير واستيراد البضائع الخاصة بها، كما ستتمكن من استثمار هذه الطرق داخل وخارج سوريا وفرض رسوم والتحكم بتجارة الترانزيت الدولية المارة بسوريا، أيضاً إن اهتمام روسيا بالطرق الدولية يعود لتحقيق حلم روسيا بالوصول للمياه الدافئة بالبحر المتوسط ولن يكتمل حلمها بدون السيطرة على هذه الطرق التي تربط روسيا بموانئ هذه المياه،[16]

إن سيطرة روسيا على الطرق الدولية سيؤدي ذلك إلى سيطرتها على أهم العقد التجارية وذلك سيقوي دورها في المنطقة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي.

المطلب الثاني: التدخل الروسي في سوريا 2011-2020م.

منذ بداية اندلاع الثورة السورية عام ٢٠١١م كان موقف روسيا موقف دعم وتأييد للنظام الأسد في مواجهة الثورة الشعبية، وعملت على دعمه سياسياً وعسكرياً وهذا الدعم لسوريا كان وراءه مصالح عديدة لروسيا كما ذُكر في المطلب السابق، حيث أن سوريا تشكل أهمية كبيرة لروسيا اقتصادياً وعسكرياً واستراتيجياً وتجارياً...، ويوجد دوافع مباشرة أدت إلى الاحتلال الروسي على سوريا، أهمها:

1- عملت روسيا على دعم النظام السوري وحمايته من أجل كبح الجهود الأمريكية والغربية لإسقاطه ويمكن أن يوفر ذلك حضوراً قوياً لروسيا في كافة ملفات الشرق الأوسط.[17]

وبذلك تسعى روسيا إلى إثبات وجودها وتقوية نفوذها لتكون في مواجهة امتداد قوة ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

٢- تخوف روسيا من عودة "مقاتلي القوقاز"، كانت بداية نشأة هذه التنظيمات حركات انفصالية لجمهوريات روسيا وتحول عدد منها لجماعات إسلامية رفضت الاستمرار تحت حكم روسيا وتعتبر القوقاز المركز الرئيسي لهم وقد نجحت السلطات الروسية في إضعاف المقاومة في القوقاز من خلال السماح لهذه التنظيمات لنقل

---

[15] ملوكي سفيان، المرجع السابق، ص162.

[16] عمر الحاج أحمد، لماذا تهتم روسيا بالطرق الدولية المتواجدة في سوريا؟،أورينت نت، 2019، على الرابط التالي: orient، آخر تحديث: 2022/2/6

[17] بن ورخو زهية، المرجع السابق، ص50

الصراع إلى سوريا وانخرطت هذه التنظيمات في الحرب السورية وتوزعت أفرادهم في التنظيمات الإسلامية المتطرفة وبعد نجاح التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بالقضاء على هذه التنظيمات في سوريا فكان أمامهم مسارين التحرك إما إلى بلد ذات رخوة أمنية أو العودة إلى بلادهم.[18] فقد اتجه البعض منهم نحو ليبيا بسبب الرخاء الأمني فيها وكانت تخشى روسيا من أن تعود هذه التنظيمات إلى القوقاز وتثير الصراعات مجدداً.

٣- التخوف من وصول الإسلاميين إلى الحكم والحرب على الإرهاب: روسيا تخشى من وصول الإسلاميين إلى السلطة منذ بداية الثورة السورية كما حصل في بعض الثورات العربية التي شهدت صعود الأحزاب الإسلامية إلى الحكم كما أنها تدرج جماعة الإخوان المسلمين وعدد من الجماعات الإسلامية مثل تنظيم الدولة وجبهة النصرة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية المتطرفة.[19]

تدخلت روسيا في الحرب السورية للقضاء على هذه التنظيمات لأنها تعتبر أنه سيكون لهذه التنظيمات امتداد خارج سوريا وربما يكون إلى الداخل الروسي، أيضاً فهي تخشى من وصول الإسلاميين إلى السلطة في الدول العربية الذي قد يؤدي إلى صعود الإسلاميين إلى الحكم في بلاد القوقاز.

٤- لتحافظ روسيا على هيبتها ومكانتها حيث أن عدم تدخلها في سوريا يعني أنها غير قادرة على حماية حلفاءها، وقد كان التدخل بطلب رسمي من النظام السوري للتدخل كي تسانده وتدعمه وكان تدخلها في البداية سياسي وتطور مع بداية عام ٢٠١٥ إلى تدخل عسكري.

أولاً: الدعم الروسي للنظام السوري سياسياً:

منذ بداية الاحتجاجات في سوريا عام ٢٠١١م قامت قوات النظام بقمع المتظاهرين الذين خرجوا ضد النظام السوري فسعت الدول العربية لإصدار قرار من مجلس الأمن يدين السلطات السورية لاستخدامها العنف في قمع المتظاهرين وكان دور روسيا هو أفشال صدور هذه القرارات ضد النظام الأسد، وقد أعلن الرئيس الروسي السابق ميدفيديف في أواخر عام ٢٠١١م عن رفض روسيا أي عقوبات تصدر من مجلس الأمن على النظام السوري، وبما أن قرار مجلس الأمن بالتدخل أو استخدام القوة لن يكون مشروعاً إذا تم رفض الدول التي تمتلك مقعداً دائماً في مجلس الأمن ولديها حق النقض "الفيتو".[20]

وروسيا إحدى هذه الدول التي لها مقعد دائم في مجلس الأمن وقامت باستخدام حق النقض عدة مرات لرفض القرارات التي تصدر من مجلس الأمن تدين النظام السوري.

استخدمت روسيا ومعها الصين "الفيتو" ضد مشروع قرار يدين النظام السوري بقمعه حركة الاحتجاجات في ٥ أكتوبر ٢٠١١م، وواصلت استعمال حق النقض في مجلس الأمن دفاعاً عنه، حيث استخدمته باشتراك مع الصين في ٤ فبراير ٢٠١٢م ضد مشروع قرار عربي حظي بدعم غربي في مجلس الأمن يتبنى خطة العمل

[18] محمود رشدي، دواعش القوقاز وخطر العودة إلى أوروبا، مركز سيمو باريس للدراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، 2018، على الرابط التالي: https://www.almarjie-paris.com/3203 ، آخر تحديث:2022/2/7.

[19] بن ورخو زهية، المرجع السابق، ص55.

[20] المرجع السابق، ص53.

العربية، وقد استخدم الفيتو في ١٩ يوليو ٢٠١٢م ضد تمرير قرار غربي في مجلس الأمن يضع خطة "كوفي عنان" تحت فقرات من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وتطالب فرض عقوبات غير عسكرية على النظام السوري إذا لم يلتزم بنقاط خطة كوفي عنان.[21]

كما استخدمت روسيا والصين الفيتو في ٢٢ مايو ٢٠١٤م في التصويت على قرار تبنته فرنسا في مجلس الأمن يدعو إلى إحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية، أيضاً عندما أكد الرئيس الأمريكي باراك أوباما على ضرورة محاسبة نظام الأسد إثر الهجوم المزعوم بالسلاح الكيميائي في ريف دمشق، وقال أوباما أن العملية العسكرية في سوريا ستقيد قدرة وقوة النظام السوري على استخدام هذا السلاح، وفي حينها حذر وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف" الدول الغربية من التدخل في سوريا بدون قرار من مجلس الأمن، كذلك انعقد مؤتمر جنيف في ٢٠١٤م برعاية روسيا والولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة للتفاوض لحل القضية السورية ولكن بعد ثلاث أسابيع من المفاوضات بين النظام السوري والمعارضة أعلنوا أنهم وصلوا إلى طريق مسدود، ويعود سبب فشل هذه المفاوضات بالدرجة الأولى إلى الخلافات بين الطرفين في تشكيل هيئة الحكم الانتقالية في سوريا، ومكملاً للجهود السياسية الدبلوماسية في سوريا قامت بالتنسيق مع إيران منذ بداية اندلاع الثورة وطوال تطوراتها.[22]

ومن خلال هذه المبادرات الدبلوماسية حققت روسيا انتصاراً دبلوماسياً واثبتت نفسها كقوة فاعلة على المستوى الدولي، وأظهرت قوتها في منطقة الشرق الأوسط، وبينت أنها لن تسمح لأي قوة أخرى بإسقاط نظام الأسد في سوريا.

ثانياً: التدخل الروسي العسكري في سوريا:

بعد فشل الجهود الدبلوماسية في حل الأزمة السورية، ووجدت روسيا أن النظام السوري غير قادر على البقاء فترة أطول بمفرده وسيطرة قوات المعارضة وداعش على أجزاء إقليمية واسعة، ورغبة روسيا في توسيع نفوذها وإبراز مكانتها على المستوى الإقليمي والدول أدت إلى التدخل الروسي العسكري في سوريا ودعم النظام السوري الذي أصبح تدريجياً احتلال روسي على سوريا، والدافع المباشر للتدخل هو طلب رسمي من بشار الأسد لتدخل القوات الروسية في الحرب السورية فإن النظام قد تعرض لانتكاسات منذ مطلع العام ٢٠١٥م استدعت تغيير الاستراتيجية الروسية، حيث بدأ التصعيد العسكري الروسي منذ بداية ربيع عام ٢٠١٥م بإرسال جنود إلى سوريا وإرسال شحنات أسلحة متطورة إلى نظام الأسد.

في مطلع سبتمبر أكد الرئيس الروسي أن روسيا تواصل تقديم مساعدات مهمة إلى سوريا من خلال التدريب والأسلحة والمعدات، واستمرت في دعم النظام وجلب المعدات والأسلحة إلى سوريا، وعززت روسيا وجودها على الساحل السوري بقطع بحرية بما فيها سفن الإنزال البحرية إلى جانب حوالي ١٥ طائرة نقل من أجل إرسال أسلحة جديدة وقوات عسكرية إضافية إلى سوريا، بعد أن عززت قواتها ومعداتها العسكرية بدأت نهاية سبتمبر ٢٠١٥ عملياتها العسكرية فوق الأراضي السورية، وتعاملت جميع الفصائل المعارضة للنظام على أنها

[21] المرجع السابق، ص57
[22] بن ورخو زهية، المرجع السابق63.

منظمات إرهابية ثم ركزت الضربات الصاروخية الجوية على خطوط التماس بيت قوات النظام وبين الفصائل المعارضة له، ركزت العمليات في مراحلها الأولى على ضرب جوي لمواقع المعارضة وإضعاف قدراتها، أيضاً وتأمين المنطقة الساحلية الحيوية للنظام السوري.[23]

ونشرت روسيا منظومة للدفاع الجوي في قاعدة حميميم ضمن استراتيجيتها في تعظيم وجودها العسكري في سوريا بالمحصلة نتج عن هذا التدخل استعادة النظام إلى بعض المناطق التي كانت في سيطرة المعارضة السورية، وأيضاً أعادة توزيع القوة على الأرض والسيطرة الجوية، وبقيت هذه الجهود العسكرية التي تبذلها روسيا لدعم النظام السوري ومساعدته على مواجهة الفصائل المعارضة، وستكون اقتطاعاً من حصة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي ولاسيما إذا تمكنت روسيا من إبقاء نظام الأسد وسيكون ذلك بداية تشكيك في مكانة الولايات المتحدة الأمريكية التي رفعت شعار رحيل الأسد.[24]

أي لمنع أي تدخل عسكري خارجي في سوريا نرى أن التدخل الروسي العسكري في سوريا كان له أهداف استراتيجية متعددة أهمها المحافظة على بقاء النظام السوري ودعمه بشكل مباشر أو غير مباشر لمواجهة قوى المعارضة وحماية قاعدة طرطوس البحرية الروسية، أيضاً منع أي تدخل عسكري خارجي في سوريا وتأكيد على ذلك، الوثيقة التي صادق عليها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في عام ٢٠١٦م، وهي وثيقة "رؤية السياسة الخارجية" لبلاده وأكدت الوثيقة أن "روسيا ستبدي مقاومة ضد أي محاولات ترني للتدخل في شؤون أي بلد آخر يسعى لتغيير السلطة فيه بطرق غير قانونية" دون ذكر دولة بعينها وإن كان بعض المراقبين اعتبروا أن ذلك يشير إلى سوريا.[25]

وبقيت روسيا تدعم النظام السوري سياسياً وعسكرياً حتى وقتنا الحاضر، رغم ما يقوم به النظام السوري من أعمال وحشية ضد المدنيين واستخدامه جميع أنواع الأسلحة، والتي بعضها محرم دولياً، وتبقى روسيا تغطي عن أعماله لحماية مصالحها والمحافظة على حليف لها في الشرق الأوسط.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكن معرفة ما تملكه منطقة الشرق الأوسط من أهمية للسياسة الروسية سواء أهمية سياسية أو اقتصادية أو استراتيجية لمد نفوذها وجعلها قوة فاعلة على المستوى الدولي.

وفهم طبيعة التدخل السياسي الروسي في سوريا منذ اندلاع الثورة عام 2011من وتحوله إلى احتلال عسكري عام 2015م، ودخول القوات الروسية إلى سوريا.

---

[23] محمود حمدي أبو القاسم، تداعيات خطرة: أبعاد التدخل العسكري الروسي في سوريا، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2015، على الرابط التالي: http://www.acrseg.org/39596 ، آخر تحديث:2022/2/7.

[24] المرجع السابق.

[25] بوتين يصادق على وثيقة "السياسة الخارجية"، وكالة الاناضول، 2016، على الرابط التالي: dhdhdhdh، آخر تحديث: 2022/2/8.

ويمكن الملاحظة أيضاً التحول في سياسة روسيا من الحفاظ على الوضع القائم إلى السعي نحو تغييره من خلال التدخل في قضايا منطقة الشرق الأوسط ليكون لها دور مؤثر في المنطقة، واقرب مثال على ذلك التدخل الروسي في سوريا وقد تم الحديث عنه في المبحث الثاني.

نستنتج أن روسيا تعمل على دعم الانظمة الاستبدادية كدعمها سياسياً للنظام السوري في سوريا مع اندلاع الثورة الشعبية ضده، وتحول هذا الدعم إلى احتلال عام 2015م، ويمكن ذكر عدة أسباب تجعلها تدعم الأنظمة الاستبدادية في المنطقة:

1-تشكل هذه الأنظمة حليفاً قوياً لها في منطقة الشرق الأوسط تساعدها على إعادة أمجادها ومد نفوذها لخارج حدودها وإثبات وجودها على المستوى الدولي كقوة عظمى.

2- حفاظها على الأنظمة الاستبدادية لخشيتها من استبدال هذه الأنظمة بأنظمة حكم إسلامية، وانتقال الحكم الإسلامي إلى بلاد القوقاز وهذا ما لا ترغب به روسيا وتسعى لإفشاله.

3- سعي روسيا للمحافظة على الأنظمة الاستبدادية لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى لقلب هذه الأنظمة إلى أنظمة ديمقراطية.

4-تشكل هذه الدول حليف قديم لروسيا فهي تدعمهم لتحافظ على هيبتها في منطقة الشرق الأوسط.

5-هذه الدول ذات الأنظمة الاستبدادية لها أهمية كبيرة لروسيا من الناحية الجيوستراتيجية والاقتصادية والسياسية.

وتسعى روسيا دائماً للمحافظة على العلاقات مع العديد من الأنظمة العربية بهدف تنفيذ استراتيجيتها وتحقيق مصالحها الاقتصادية والتجارية والسياسية، وهدفها الأساسي إعادة إحياء دورها كقوة فاعلة على المستوى الدولي وارتباط توجهات سياستها الخارجية بضرورة مواجهة الهيمنة والاستقرار الأمريكي بالنسق الدولي.

المراجع:

الكتب:

1- محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998.

2- فراس محمد أحمد الجحيشي، التوازنات الاستراتيجية في ضوء بيئة أمنية متغيرة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.

3- حسيبة مخبي، توجهات الاستراتيجية الروسية نحو منطقة الشرق الأوسط، جامعة الجزائر، 2017.

الرسائل والأطروحات:

4- بن ورخو زهية، العلاقات العسكرية الروسية الإيرانية في ظل الأزمة السورية خلال الفترة 2011-2017، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة زين عاشور، 2017.

5- ملوكي سفيان، السياسة الخارجية الروسية والتحولات السياسية في المنطقة العربية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر،2018.

المواقع الإلكترونية:

6- **أماني عبدالكريم علي سليمان،** أثر التدخل الروسي في الشرق الأوسط على هيكل النظام الدولي "2011 – 2016 ، **المركز الديمقراطي العربي**"، 2016على الرابط التالي:https://democraticac.de/?p=34573

7- إبراهيم نوار، مصالح المن القومي لروسيا في الشرق الأوسط، القدس العربي، 2020، على الرابط التالي: https://u.pw/LvHWH2 .

8- عمر الحاج أحمد، لماذا تهتم روسيا بالطرق الدولية المتواجدة في سوريا؟، أورينت نت، 2019، على الرابط التالي: orient.

9- ظاهر عبد الزهرة الربيعي، م. م ثناء إبراهيم فاضل، الموقع الجيواقتصادي لسوريا وأثره على سياسة روسيا الاتحادية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العدد6، 2017، على الرابط التالي: n2m3,m3n.

10- محمود رشدي، دواعش القوقاز وخطر العودة إلى أوروبا، مركز سيمو باريس للدراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، 2018، على الرابط التالي: https://www.almarjie-paris.com/3203 .

11- محمود حمدي أبو القاسم، تداعيات خطرة: أبعاد التدخل العسكري الروسي في سوريا، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2015، على الرابط التالي: http://www.acrseg.org/39596 .

12- بوتين يصادق على وثيقة "السياسة الخارجية"، وكالة الاناضول، 2016، على الرابط التالي: dhdhdhdh.